الفصل السابع

مواقف لبني إسرائيل كسواعد للشيطان

مو اقف اليهود التي سجلها القرآن الكريم كثيرة لا حصر لها؛ لتكون شاهدا عليهم وعاريلحق جبينهم لقيام الساعة ويكون حجة عليهم لكل مؤمن مبصراً للحق؛ لتعلم البشرية جمعاء مبلغ عناد وتمرد اليهود في تعاملهم مع خالقهم سبحانه وتعالى ومع أنبيائهم ورسولهم، وكيف استخدمهم الشيطان كعون له؛ ليحقق مآربه من بني آدم، وكيف عاقبهم الله، بأن لعنهم وجعل منهم القردة والخنازير، وتوعدهم بسوء العذاب في الدنيا والآخرة. ولم يكن ذكر بني إسر ائيل بهذه الصورة المتكررة في القرآن الكريم إلا لحكمة عظيمة، هي تعريف أمة الحق المبين بنفسية اليهود وأخلاقهم؛ لتكون على حذر وحيطة عندما تتعامل معهم، فلا تغتر بعهودهم ولا بمو اثيقهم، وأخذ العبرة والعظة مما آل إليه أمر اليهود من مقت الخالق سبحانه لهم، ولعن الأنبياء إياهم، وبغض الخلق لهم، وما ذلك إلا نتيجة عصيانهم، وتكبرهم، وعنادهم، وتمردهم على خالقهم سبحانه، ورسله الكرام، فهم قوم جحود، والجحود هو الإنكار مع العلم الواضح وضوح العين لهم، فلقد جحد اليهود نِعَم الله -

تعالى - وكذبوا آلاء الله التي أخرجتهم من ظلمات الباطل إلى نور الحق المبين، وأنجتْهم من سوء العذاب. وقد تجسَّدت تلك النعم في معجزات وخيرات عاينها اليهود، ونعموا بآثارها الطيبة، ولكنهم - برغم ذلك- جحدوها جحودًا لم يأتِ بمثله قومٌ من قبلهم أو من بعدهم. ونرى دلائل الجحود حين نقرأ في سورة البقرة عن نِعَم غامرة، جحدها اليهود وكذَّبوا بها، وهم يعلمون سوء فعلهم، حيث أنجاهم الله-تعالى-من آل فرعون الذين ساموهم سوء العذاب، فذبَّحوا أبناءهم، واستحْيَوْا نساءهم، ففلق الله-تعالى-لهم البحر، حتى ظهرت لهم الأرض اليابسة فمشوا عليها، وبذلك نجوا من آل فرعون الذين تتبعوهم يريدون الفتك بهم، ورأوا بأعينهم آل فرعون وهم يغرقون، ثم أنعم الله عليهم بأن واعَدَ موسى أن يعطيه التوراة بعد أربعين ليلة، وفيها هدى لهم ورحمة، ولكنهم جحدوا تلك النعم، فاتَّخذوا العجل إلهًا حين ذهب موسى للقاء ربه، وبرغم ذلك الجحود عفا الله عنهم؛ لعلهم يشكرون، ويستمر عرض جحودهم بسورة البقرة من موقف لآخر وسوف نعرضه فى السطور التالية بشواهد القرآن على أفعالهم وأخلاقهم؛ لنبين حقيقة هؤلاء لكل مؤمن موحد بدين الله الحق.

بنو إسرائيل ينكرون ما جاءهم بين إيديهم
بعدما تبينوا أنه الحق من ربهم

كانت اليهود يستفتحون على كفار العرب، يقولون: أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى، وهو أحمد، لكان لنا عليكم! وكانوا يظنون أنه منهم، والعرب حولهم، وكانوا يستفتحون عليهم به، ويستنصرون به. وكانوا يقولون: اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس، يستفتحون ويستنصرون به على الناس. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وحسدوه،وذكر القران فيهم قول الله عزوجل.

"وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ "(٨٩)البقرة

" كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ" ١٠٩

من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئا، ولكن الحسد حملهم على الجحود، فعيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة، وشرع لنبيه ﷺ وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان والإقرار بما أنزل عليهم وما أنزل من

قبلهم، بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم، حيث أنزل الله - تعالى - من أجل اليهود وهدايتهم كتابًا على موسى.

وآتاه السلطان الذي يفرق به بين الحق والباطل، ونصحهم موسى فأخلص لهم النصح، وذكَّرهم بظلمهم حين اتخذوا العجل إلهًا، وذكَّرهم أيضًا بفضل الله عليهم حين تاب عليهم، ولكنهم جحدوا.

بنو إسرائيل يطلبون من موسى أن يروا الله جهرة

تصور لنا سورة البقرة موقف بنو إسرائيل من موسى وربه بعدما انعم الله عليهم بنعمته ونجاهم من آل فرعون وعفا عنهم بعد اتخاذهم العجل للعبادة من دون الله كل هذا لعلهم يشكرون فماذا فعلوا ليتوبوا إلى الله بارئهم. عندما أرادوا أن يتوبوا إلى الله سبحانه، اختار موسى من قومه سبعين رجلا لمناجاة الله، والتوبة إليه سبحانه، ولكن بني إسرائيل تأبى نفوسهم الوضيعة إلا أن تظهر التمرد حتى في مواطن التوبة ومناجاة الباري سبحانه، فقد طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة، وكان من

عظيم كفرهم وفجورهم أن يطلبوا من موسى دليل بعده يعلنوا إيمانهم فقالوا لموسى أنهم لن يؤمنوا له إلا بعد أن يرَوُا اللهَ جهارًا،

فلما تطلعوا يريدون رؤية الله- سبحانه- أخذتْهم صاعقة من السماء وهم ينظرون، ثم بعث الله - تعالى - أولئك الذين أرادوا رؤيته بعد أن أحرقتهم الصاعقة، وتفضل الله عليهم بعد ذلك بالمَنِّ - إفراز حلو المذاق، تفرزه بعض الأشجار- وبالسلوى - الطائر المعروف بالسمان - ليَقِيهم الهلاك جوعًا في بيئة مجدبة؛ ولكنهم جحدوا أيضًا كل هذه النعم وهذا شاهد القران فيهم "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥)

بنو إسرائيل يستهزئون بأمر الله

ويذكِّر الله - تعالى - اليهود بما تفضَّل عليهم بعد خروجهم من تِيهٍ وضياع في صحراء سيناء، إذ أمرهم بدخول بيت المقدس وهم ساجدون، يسألون الله أن يَحطَّ عنهم ذنوبهم، ويغفر لهم عنادهم، ووعدهم - سبحانه - بالمكافأة وحسن الجزاء، إن فعلوا ما أمرهم به، ولكنهم لم يستغفروا ربهم؛ بل انهمكوا

في الشهوات، ولما عطشوا في التيهِ، تفضل الله عليهم بتكليف موسى أن يضرب بعصاه حجرًا، فتفجرت منه عيون بقدر عدد قبائلهم، لكل قبيلة عين خاصة يأخذون منها حاجتهم، ولا يشاركهم فيها غيرهم، ولكن اليهود - بعد كل هذه النعم يقولون على سبيل الاستهزاء ما حطة ؟ حبة في شعيرة ، ، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ : (قال الله لبني إسرائيل :ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، وقالوا : حبة في شعرة)

سبيل الاستهزاء - قال تعالى :{ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) البقرة:

وقول الحق وقولوا حطة نغفر لكم خطايكم أى استغفروا ربكم بالسجود ليحط عنكم خطايكم ويرفعها عنكم، ولكنهم استهزءوا بقول الله تعالى، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر

لكم خطاياكم ، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاهم ، وقالوا : حبة في شعرة)

بنو إسرائيل يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير

إن رحمة الله عز وجل ببني إسرائيل عظيمة، فعلى الرغم من تعنتهم وتمردهم وعصيانهم إلا أنه سبحانه يرحمهم ويرأف بهم ، ففي أثناء عقوبته لهم سبحانه بالتيه في الصحراء منَّ عليهم بالغمام يظلهم من حر الشمس ، وتفضل عليهم بطعام من طعام الجنة فأنزل عليهم المن - وهو شراب حلو - والسلوى - وهو طائر ذو لحم طيب - قال تعالى مذكرا إياهم بهذه النعم: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (البقرة:٥٧)، فهل عرف بنو إسرائيل نعمة ربهم فازدادوا له شكراً وحمداً؟ كلا، ولكنهم يطلبون الادنى بالذي هو خير"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) البقرة، إذ جاءوا موسى - عليه السلام - متضجرين ساخطين على هذه النعمة، وادعوا أنهم لا يصبرون على طعام واحد ، وطلبوا منه الثوم والبصل ، حيث طلبوا من موسى أن يطلب لهم من ربه أن يرزقهم مما تُنْبت الأرض، من بقل، وقثاء، وثوم، وعدس، وبصل، وتعجَّب موسى من طلبهم استبدال الاحسن من الطعام بالاسوأ من الطعام، فهذا يدل على عدم ثباتهم على الحق، وهم يعلمون أنه حق، أيستبدل طعام الجنة بالثوم والبصل؟

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ قال ابن كثير- رحمه الله:

يقول: هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء و أتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كبْر أعظم من هذا، أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق؛

ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: "الكبر بَطَر الحق، وغَمْط الناس" رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به، أنهم كانوا يعصون ويعتدون، فالعصيان فعل المناهي، والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه أو المأمور به. والله أعلم.

تفسير بن كثير.

بنو إسرائيل يجادلون موسى فى أمر اللّه بذبح البقرة

ويبلغ اليهود في جحود نِعَم الله مدى بعيدًا في قصة البقرة، ذلك أن رجلاً منهم قتل رجلاً، وبادر القاتل بشكوى لموسى، فبحث موسى عن القاتل، فلم يهتدِ إليه، فأمرهم الله - تعالى - أن يذبحوا بقرة، فجادلوا موسى جدالاً شديدًا، متسائلين عن لون البقرة، وشكلها، وسِنِّها، وكلما شدَّدوا شدَّد الله عليهم، حتى صارت نادرة، فتعبوا في الحصول عليها، وبعد جهد جهيد، حصلوا على بقرة لا مُسِنَّة ولا فتيَّة، صفراء خالصة الصفرة، ليست بصعبة،

تهيج الغبار إذا تحركت، تسقي الزرع، سليمة من العيوب، في جلدها قطعة لونُها يخالف لونه. وهذه الصفات إنما طلبها الله - تعالى - نتيجة لطول جدالهم وتشددهم، وقد حصلوا على بقرة تتو افر فيها هذه الصفات بضعف ثمن مثلها، وذبحوها بعد أن قاربوا ألاَّ يفعلوا ما أُمِروا به. وأرشدهم الله أن يضربوا جثة القتيل ببعض أعضاء تلك البقرة، فعاد إلى الحياة وأخبرهم عن قاتله، وفي هذه القصة آية من الله لعلهم يعقلون، ولكن قلوبهم - برغم هذه المعجزة البينة - قَسَت حتى صارت كأنها الحجارة أو أشد وهذا العرض القرآني من سورة البقرة شاهد على جدالهم فى أمر الله

" وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ

بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) " البقرة

كل هذا الجدال تحايلا منهم على امر الله فى ذبح البقرة و انكار لصدق موسى فيما ينقل عن ربه وبعد هذا أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمن لكم اليهود؟.لا والله كيف ؟

وهم الذين حرفوا التوراة التي أنزلها الله عليهم،، فجعلوا الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقاً، أنها أخلاقهم على مر الزمان.

بنو إسرائيل ينكثون المواثيق والعهود

" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَ أَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣)البقرة

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل، أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه، بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له، بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته، ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤتوا زكاة أموالهم - فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولوا عنه معرضين، إلا من عصمه الله منهم، فوفى لله بعهده وميثاقه.

بنو إسرائيل يعرضون عن امر الله بعد فضله عليهم

يرفع الله على رؤوسهم جبلاً عظيماً ، ثم يأمرهم سبحانه أن يسمعوا أمره، ويطيعوا شرعه، فيجيبونه بقولهم سمعنا وعصينا، فلما كاد الجبل أن ينقض عليهم، اضطروا إلى السجود، لكنهم سجدوا على شق، ونظروا إلى الجبل بالشق الآخر، فرفع الله العذاب عنهم رحمة بهم، هذه هى أخلاقهم وعهودهم الشيطانية حتى مع خالقهم، قال تعالى مبينا موقف اليهود ونفاقهم:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)البقرة

وقال تعالى:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣)البقرة

قال: الطور الجبل. اقتلعه الله فرفعه فوقهم، فقال: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ فأقروا بذلك ثم تولوا واعرضوا.

بنو إسرائيل يقولون لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا

لقد كان خروج بني إسرائيل من مصر نصراً لهم بكل معنى الكلمة، فقد خرجوا من العبودية إلى الحرية، ومن الذل إلى العز، وكل ذلك بفضل الله عزوجل وتوفيقه ورأفته بهم، لكنهم لم ينظروا إلى هذا على أنه نعمة تستوجب الشكر، ومِنَّة تستوجب الحمد، بل نظروا إلى تلك النعم على أنها حق لهم، وأن على الخالق أن يبذل المزيد في سبيل راحتهم، هذه كانت نظرة بني إسرائيل للأمر، لذلك عندما أمرهم موسى- عليه السلام - بدخول الأرض المقدسة - القدس - أجابوه بجواب غاية في الدونية، جواب من استمرأ حياة الذل، وعاف حياة العز والجهاد، { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } (المائدة:٢٤)، فانظر إلى هؤلاء كيف ردوا أمر الله سبحانه ولم يخشوا ربهم حقا فعلى قلوب أقفالها وعصيانُهم هو رفضُهم دخولَ الأرضَ المُقدسةَ، فذلك قوله تعالى" يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ

يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) المائدة

يقول تعالى ادخلوا الأرضَ المقدسةَ التي أُثبِت في اللوحِ المحفوظِ أنَّها لكم مساكنٌ ومنازلٌ دونَ الجبابرةِ التي فيها فأبوا على نبيهم موسى عليه السلام الإجابة إلى ما أمرَهم به من ذلك، واعتلّوا عليه في ذلك بأن قالوا، إن في الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها، قومًا جبارين لا طاقةَ لنا بحربِهم، ولا قوةَ لنا بهم. وسموهم " جبّارين "، .وكان موسى عليه السلام قد بعث اثنى عشر نقيبًا من جميع أسباط بني إسرائيل، ليأتوه بخبر الجبَّارين، فلمَّا أخبروه عن عظمةِ خلقِهم وشدةِ بطشهم عهِدَ إليهم تركَ إعلامَ بني إسرائيل بما رأوا وعاينوا من الجبابرة الكنعانيين كي لا يجبنَ ولا يجزعَ قومُه من قتالِهم فوفيا بعهدِه رجلانِ صالحان منهم وصفهما الله عز وجل بأنهما ممن يخافُ اللهَ ويراقبُه في أمرِه ونهيِه. وقد قالا لقومه لمَّا جبنوا وخافوا الدخول على الجبارين: ادخلُوا عليهم، أيُّها القومُ بابَ مدينتِهم، فإنَّ اللهَ معكم، وهو

ناصرُكم، وإنكم إذا دخلتم البابَ غلبتمُوهم. فرفضَ الملأ من بني إسرائيلَ دخول الأرضَ المقدسة ما دام الجبارون مقيمين فيها وقالوا بكفرهم:

" إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ "(المائدة:٢٤)

بنو إسرائيل يطلبون عبادة الأصنام واتخاذها إله لهم

لم يكن خافيا على بني إسرائيل الذين أخرجهم موسى عليه السلام من مصر بمعجزة ربانية ، وهرب بهم من كيد فرعون وبطشه - أن موسى رسول من عند الله، جاء بتوحيده والدعوة إليه ، ومع ذلك فلم يمض على خروجهم من مصر ونجاتهم من فرعون إلا وقت قصير حتى طلب بنو إسرائيل من موسى طلبا غاية في الغرابة، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فقالوا يا موسى : "قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)الأعراف. قالوا "اجعل لنا"يا موسى" إلهًا نعبده وصنما نتخذُه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها. ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار. وقال موسى صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم

تجهلون عظمة الله وواجبَ حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض. يا لله كيف يطلبون من نبي التوحيد أن يجعل لهم صنما يعبدونه، أو ليس خروجهم من مصر ونجاتهم من البحر، نعمة تستوجب الحمد والشكر لله على ما أولاهم إياه من نعم، فأي عقول تلك بل أي قلوب التي تنكر نعم الله انها عقول ضالة، وقلوب عليها اقفال موصدة إنهم اليهود عقول اليهود.

بنو إسرائيل يمكرون ويتحايلون على أمر الله وشرعه

رأينا كيف قابل بنو إسرائيل أمر الله عز وجل لهم بدخول الأرض المقدسة، ثم كيف استهزءوا بأمره حين أمرهم أن يدخلوها ساجدين مستغفرين، فتلك هي طريقتهم في التعامل مع أمر الله وحكمه، أما هذه القصة التي سنوردها الآن فهي تحكي طريقة أخرى في التعامل مع الأوامر الربانية، طريقة التحايل على الأمر، وكأنهم لا يتعاملون مع من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، ولما كان دين الله مبنياً على ابتلاء العبد بالتكاليف الشرعية؛ حتى ينظر من يمتثل فينجو، ومن يعصي فيهلك، فقد ابتلى الله بني

إسرائيل بتحريم الصيد يوم السبت، ثم ابتلاهم بوفرة الحيتان في ذلك اليوم، وقلتها فيما سواه من الأيام، فماذا عمل بنو إسرائيل؟ هل كفوا أيديهم امتثالا ؟ كلا ، فقد طمعوا واشتروا رغبة انفسهم برضا وتحايلوا بحيل الغدر والمكر ظنا منهم استخفافهم بربهم، حتى استحلوا ما حرمه الله عليهم بأدنى الحيل، واهل هذه القرية أهل أيلة، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر، فكانت الحيتان تأتي كثيرة إذا كان يوم السبت - وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئا - لم يبق في البحر حوت إلا خرج ، حتى يخرجن خراطيمهن من الماء، فإذا كان يوم الأحد لزمن مقل البحر، فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت، فذلك قوله تعالى: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم [كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون]). فاشتهى بعضهم السمك، فجعل الرجل يحفر الحفيرة، ويجعل لها نهرا إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت أن يخرج، فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر، فيمكث فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه، فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره

ريحه فيسأله فيخبره، فيصنع مثل ما صنع جاره، حتى فشا فيهم أكل السمك ، فقال لهم علماؤهم: ويحكم! إنما تصطادون يوم السبت، وهو لا يحل لكم، فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله.

تفسير بن كثير

قال تعالى : { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (الأعراف:١٦٣) وقال أيضا:{ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ }(الأعراف:١٦٦)

وما عِظم هذه العقوبة إلا لعظم الجرم، فلو أتوا الأمر عياناً لكان أهون، لكنهم بتحايلهم ومكرهم استخفوا بربهم جل وعلا وأمره، فانظر عاقبة الحيل والمكر كانت مسخهم قردة خاسئين.

بنو إسرائيل لم يطيقون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الذي يمكن أن يخلص إليه المرء من دراسة مو اقف بني إسر ائيل التي سطرها القرآن أن بني إسر ائيل أهل الشيطان وحاشيته، ومن كان هذا حاله فكيف يصبر على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لذلك كان من أشدِّ ما نقم عليهم أنبياؤهم انهماكهم في المعاصي والسيئات، وعدم قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لعنوهم و أبغضوهم على ذلك ، قال تعالى :" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)المائدة

كان أمة من بني إسر ائيل، أهل عدل، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فأخذه قومهم فنشروهم بالمناشير، وصلبوهم على الخشب، وبقيت منهم بقية، فلم يرضوا حتى داخلوا الملوك وجالسوهم، ثم لم يرضوا حتى واكلوهم، فضرب الله تلك القلوب بعضها ببعض فجعلها واحدة. فذلك قول الله تعالى: " لعن الذين كفروا من بني إسر ائيل على لسان داود " إلى: " ذلك

بما عصوا وكانوا يعتدون "، ماذا كانت معصيتهم؟ قال: كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تفسير بن كثير

بنو إسرائيل يعبدون عجل السامري

لقد كان بنو إسرائيل ضعاف الإيمان فبعد طلبهم الأول من موسى عليه السلام أن يصنع لهم أصناما آلهة ليعبدوها وتحذيره لهم، كانت فتنتهم الثانية التي حصلت بغياب موسى عليه السلام عنهم وقصة ذلك أن رجلاً منهم يسمى السامري جمع ما كان لدى بني إسرائيل من ذهب الفراعنة ومجوهراتهم، وصنع منها عجلاً له صوت خاص (خوار)، ودعا بني إسرائيل لعبادته. فاتَّبعه أكثر بني إسرائيل، وبقي هارون - أخو موسى وخليفته - مع أقلية من القوم على دين التوحيد، وحاول هؤلاء الموحدون الوقوف بوجه هذا الإنحراف فلم يفلحوا، وأوشك المنحرفون أن يقضوا على حياة هارون أيضاً، فما هو سبب الانحراف هذا بعد كل الآيات التي أظهرها لهم الله تعالى ورأوها بأعينهم؟

إنه الضعف في العقيدة والجهل الذي أدى بهم إلى ترك ديانة التوحيد وهو امتحانٌ واختبارٌلهم من الله عزوجل لأن الإيمان الصحيح والقوي يصمد أمام هذا النوع من الامتحان، وأما الإيمان الضعيف فإنه سوف ينهار أمام أضعف الشبهات وهذا ما حصل مع بني إسرائيل؛ وقد اتخذ موسى موقفاً حاسماً فبين لهم أولاً بطلان عبادتهم لهذا العجل،

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)طه

وكان لا بد لموسى عليه السلام أن يغضب لهذا، إنَّه الغضب المشوب بالرحمة لخوفه على قومه من العقاب الإلهي الشديد نتيجة كفرهم، وهذا هو موقف كل مؤمن يدعو إلى الله تعالى. ثم قام ثانياً بمحو هذه الظاهرة من حياتهم (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧)طه.

وسنَّة الامتحان الإلهي هذه تجري على جميع الأمم، فالله عزوجل يضع عباده أمام امتحان الطاعة له والالتزام بأوامره ونواهيه والفائزون هم أصحاب الثبات والقدم الراسخة في الإيمان.

(الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) العنكبوت

وقال الحق تبارك وتعالى موضحًا حقيقتهم:

"وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)البقرة

قال ابن جرير: يعني بقوله جلّ ثناؤه: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويو افقهم و أقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق. وقوله تعالى: { قل إن هدى الله هو الهدى} أي قل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى، يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل { ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير} فيه تهديد شديد ووعيد للأمة في اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعدما علموا من القرآن والسنّة - عياذاً بالله من ذلك - فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأمته، وقد استدل كثير من الفقهاء بقول: { حتى تتبع ملتهم} حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة كقوله تعالى: { لكم دينكم ولي دين} ، فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفّار، وكلٌ منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة. هذه هي أخلاق بني إسرائيل وتلك هي جرأتهم على ربهم ورسله، واحتيالهم على أمره ليس لهم عهدا ولا ميثاق ، فهل من معتبر ومتعظ بحال أعداء الله ، وقتلة الأنبياء والرسل، بنو إسرائيل سواعد الشيطان. تفسير بن كثير